اولا ثم انتشر في مصر منذ مدة ومنها انتقل الى امثال تونس وما وصل التمثيل بشكله الحاضر الى المغرب الاقصى الا بعد ان شب وترعرع في مسارح غيره من الاقطار العربية ولم تكن احسن منه في هذا الشان

وانما احترزنا بقولنا (شكله الحاضر) عن مثل ما حدثناه فاضل عظيم من علماء الرباط المخزنيين رعاه الله من انه كان بالمغرب تمثيل في عهد احد ملوك الدولة العلويه الكريمة حيث كانت ثلة من رجال البلاط الملوكي تعقد في اوقات منظمة جلسات لتشخيص احوال بعض قواد الرعايا من الذين أجرموا او سقطوا مسخوطين في نظر ذلك الجوق الممثل بغية تاديبه وردعه بمعرة تمثيل جريمته او قصداً في الوشاية به عند السلطان ليعاقب بما يستحقه

هذه الحكاية تدل من وجوه على ان فن التشخيص بالمغرب الحاضر له اصل مغربي قديم اليه ينتسب وان حكومة الاسلام فيه كانت لا ترى ان شيئاً من اصول الاسلام يحرمه كما تدل على ان عقلية المغرب كانت منذ غابر الايام فاهمة ما لهذا الفن العالي من الفضل في تربية النفوس على الخيور بتهجين الخيانة والاجرام وتشنيع الرذائل والشرور وما له كذلك من المقدرة على الابداع في وصف الحسنات وتصوير المبرات وتجسيم الفضائل والاشادة بالخدمات الشعبية والمخزنية ؛ الامر الذي يجعلنا في هاته الديار نثق بحسن مستقبله في فائدة التربية وصالح الاخلاق.

عبد الاحد الكتاني

الماء ودوره في الحياة الفلاحية والصناعية والمدنية

بالمغرب الاقصى

نظرة اجمالية - موارد الماء - طرق الانتفاع بالماء - الماء والحياة الفلاحية - الماء والحياة الصناعية - الماء والحياة المدنية - خاتمة

(تابع لما سبق)

الماء والحياة الفلاحية

للماء في حياة النباتات تاثير مباشر وآخر غير مباشر أما تاثيره المباشر فهو الذي أشرنا اليه آنفاً من دخوله في تركيب الكتلة النباتية الحية بنسبة لا تدانيه فيها أي مادة اخرى ومن حمله للمواد المغذية والمواد الفاضلة بعد الغذاء فهو من هذه الناحية مادة حيوية وأداة نقل اما تاثير الغير المباشر فهو الناتج عن وجوده في الطينة التي يقضي فيها النبات دور نموه الحيوي فهو بتاثيره على تركيب هذه الطينة الطبيعي والكيماوي يؤثر تاثيراً غير مباشر على حياة النبات قبل ان يمتصه هذا الاخير أو يمتص جزءاً منه بجذوره.

ان نسبة ما في التراب من ماء لوزن قدر فعين من الطينة كلها تزيد وتنقص بحسب الاماكن والفصول وتركيب الطبقة العليا والطبقة السفلى من الارض والنسبة الصالحة هي أن يكون الماء 15 او 20 في المائة من وزن الطينة فان سقطت هذه النسبة الى مادون 6 في المائة فتلك اليبوسة الشديدة وان زادت على 30 او 35 في المائة فتلك الرطوبة المتفاحشة.

ان زيادة الرطوبة في الارض عن القدر الصالح ينتج عن أسباب مختلفة منها انخفاض الارض بالنسبة لمستوى البحر او بالنسبة لمستوى الانهار المجاورة لها خصوصاً اذا بنيت السدود لادخار مياه تلك الانهار ومنها وجود الارض في هوة منحدرة أو وجود طبقة من الصخر تحتها ومنها عدم انحراف سطح الارض انحرافاً كافياً

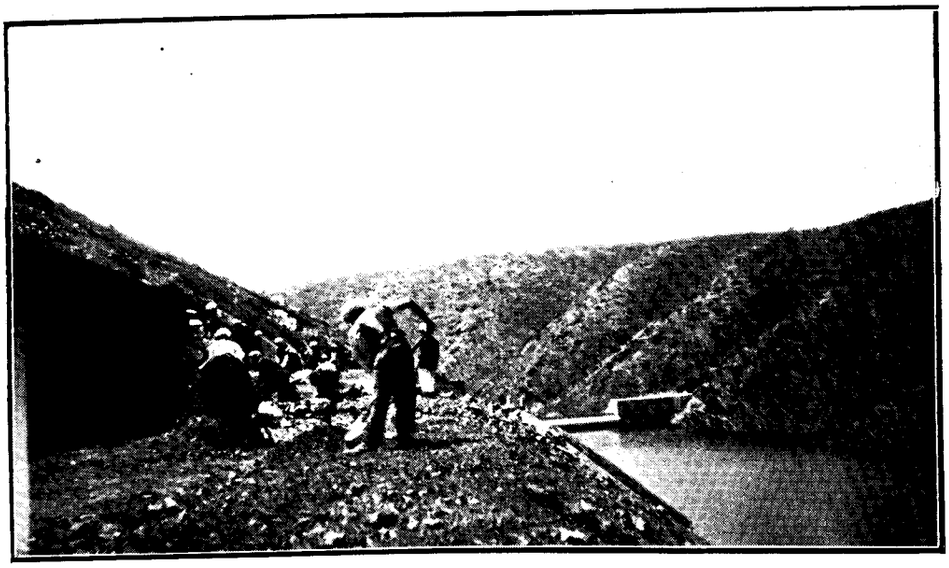

وادي ملاح والاعمال المقامة به لحجز الماء

لجريان الماء خصوصاً في البلادات الكثيرة الامطار ومنها عدم قابلية احدى طبقتي الارض العليا أو السفلى لنفوذ الماء او عدم قابلية كليهما لذلك.

نعم ان كل هذه الاسباب متوقفة على سبب جوهري عام وهو وجود المياه بكثرة ثم مكثها في الارض فاذا كانت البلاد قليلة الامطار كبلادنا لايصح لنا ان نتكلم عن مكث الماء فيها واضراره بها غير اننا ذكرنا فيما سبق حاجة المزروعات والاشجار الصيفية في كل المغرب وكذلك حاجة المزروعات والاشجار الشتوية نفسها في بعض نواحيه الى عملية الاسقاء وعملية الاسقاء تصير البلاد اليابسة في حكم التي هملت عليها الامطار الغزيرة.

والاراضي اذا كثرت رطوبتها قل الهواء فيها لان الماء يشغل جل الفضاء الموجود بين ذرات التراب والهواء القليل الذي يبقى فيها يكون فاسداً لعدم امكان تجدده وبذلك تتعطل الحركة الكيماوية المحولة للمواد العضوية والمعدنية الغير الصالحة لغذاء النباتات الى مواد تستطيع الجذور امتصاصها بل تكثر الحوامض في التراب وخصوصاً الحوامض العضوية.

ومن جهة اخرى تكون تلك الاراضي باردة لان التراب الممتزج بالماء لاتنفذ منه الحرارة كالتراب الجاف والبرودة تعطل لامحالة نبات الحبوب المبذورة وتؤخره عن اوانه اذا لم تخمج تلك الحبوب وتضيع بالمرة كما أن البرودة وفساد تركيب الارض الكيماوي يجعلان النبات عند خروجه من الارض أصفر ذابلا ضعيفاً بينما النباتات الطفيلية الضارة تنمو وتتغلب عليه.

وجل النباتات والاشجار تكون في الاراضي الكثيرة الرطوبة عرضة « للتليجة » في فصل الشتاء والربيع وللامراض الفطرية والطفيلة في الفصول التي تنتشر فيها تلك الامراض كما ان بعض امراض الحيوانات تجد في تلك النواحي متسعاً للانتشار والفتك بالحيوانات المالوفة وكذلك بعض الامراض البشرية كالبلغام وكحمى المستنقعات المعروفة بالباليوديسم.

زد على ما سبق صعوبة مباشرة حرث هذه الاراضي وتضييع الوقت الطويل لانتظار جفافها حتى اذا جفت ويبست بقي حرثها من أصعب العمليات لالتصاق بعض ذراتها ببعض.

ان زيادة الماء في الاراضي عن القدر اللازم وما تحدثه تلك الزيادة من اضرار يمكن تلافيه بطرق شتى نترك جانباً - لضيق المقام - مايرجع منها الى العمليات الفلاحية كتعميق الحرث وكجعل الارض المحروثة قسما مستطيلة او محدودبة تفصل بعضها عن بعض سواقي تعين على تنشيفها او كحفر جداول صغيرة بعد البذر لتسهيل جريان الماء الزائد او كاختيار النباتات التي تمتص الماء من الارض بكثرة كالقصب والصفصاف والاوكالبتس كما نترك ما يرجع منها الى الاعمال التي هي في طوق الحكومات كتنشيف المروج بالالات

الرافعة للماء او بناء الاسداد او تحريف مجاري الاودية والانهار ونشتغل بالتنشيف الفلاحي كما يجب ان يتعاطاه الفلاحون في اراضيهم التي تزيد رطوبتها عن القدر المطلوب.

تلك الاراضي وان كانت قليلة في بلادنا بالنسبة لغيرها من البلاد ستكثر عند ما ينتشر السقي وتتسع دائرته فالفلاح اذا زادت رطوبة ارضه عن القدر المطلوب سواء كان ذالك ناتجا عن كثرة الامطار او عن الاسقاء يستطيع تلافي ما تحدثه تلك الرطوبة المتفاحشة من اضرار بمد اقنية يتصل بعضها ببعض اتصالا غير محكم وتكون مدفونة في الارض تحت سطحها بمتر او اكثر فتسهل تلك الاقنية مرور الماء الزائد وخروجه من التراب وهذه الاقنية تكون من الخزف وهي على نوعين، اقنية صغيرة قصيرة يدخل الماء فيها مباشرة من محلات اتصال بعضها ببعض، وهي تحمل الماء الجاري فيها الى اقنية اكبر منها، وهذه الاخيرة تحمله بدورها الى مجراه النهائي وابتعاد كل من تلك الاقنية عن جارتها يزيد وينقص بحسب درجة رطوبة الارض المنوي تنشيفها وهو يتراوح بين ١٠ و ٣٠ مترا، هذه احدث طريقة لتنشيف الاراضي الفلاحية على ان بعض الفلاحين يكتفون بحفر الخنادق وتركها عارية للفضاء او جعل الحجر مبعثراً في قعرها او اغصان الدوالي وغيرها من الاشجار عوض الاقنية التي ذكرنا سالفا.

قلنا ان عملية التنشيف لايتوقف عليها الفلاح المغربي الا في ظروف خاصة، ولاكنه في غالب الاحيان لايكتفي بما في ارضه من ماء فيضطر الى ضبط مياه الابار والعيون والسيول والانهار وارسالها على ارضه ليضمن حياة وانتاج مزروعاته واشجاره، وتلك هي عملية السقي او الاسقاء.

ان للاسقاء في عالم الفلاحة حسنات عديدة نذكر باختصار اهمها.

منها ان ماء السقي يكمل للنباتات الشتوية في بعض النواحي مالم تف به الامطار من حاجاتها كما يقع ذالك في فلاحة القمح والشعير بجنوب المغرب.

ومنها أن ماء السقي يمكن صاحب الارض من تعاطي فلاحة الخضر والاشجار وبعض النباتات التي تتطلب الماء في فصلي الربيع والمصيف حين لاتهطل الامطار في المغرب الاقصى باسره.

ومنها زيادة الهواء في الارض بمرور الماء بين ذرات التراب تاركا مايحمله من مادة الاكسجين طارداً الهواء الفاسد ومحلا محله الهواء النقي وبتجديد الهواء وزيادته تنشط الجراثيم التي تحول المواد العضوية الغير الصالحة للغذاء الى املاح ومذابات يمتصها النبات بجذوره كما ان تحويل هذه المواد العضوية ينتج عنه ايضا تركيب كيماوي يسمى أكسيد الكربون ($C.O^2$) وهذا التركيب يذوب في الماء ويقوى تاثيره على المواد المعدنية واستخلاصها من الارض ليتغدى بها النبات ايضا وهكذا يعين الاسقاء على الانتفاع بالمواد المعدنية والعضوية المدخرة في التراب غير ان لهذه الحسنة نقيضها فالاكثار من الماء يفقر الارض ويجبر الفلاح على التكثير من الغبار والاسمدة المختلفة.

وادي ملاح والاعمال المقامة به لحجز الماء

ومن حسنات الاسقاء ان يترك الماء في الارض جزءاً من المواد الذائبة فيه او المعلقة به ، الاولى تتحول بفضل تفاعلها الكيماوي مع المواد الاخرى الموجودة بالتراب ، والثانية ترسب بفضل وزنها الطبيعي وهذه المواد الذائبة في الماء او المعلقة به تختلف في جنسها وتزيد كيميتها وتنقص بحسب اصل الماء والاراضي التي مر بها قبل استعماله ومعنى هذا ان ماءَ السقي كثيرا ما يكون سمادا نافعا بما يتركه في الارض من المواد الغذائية على ان لهذه الحسنة نقيضها ايضا ، لان ماءَ السقي اذا كان خالياً من بعض المواد فهو ياخذها من التراب الذي سقاه . ومن الفلاحين الذين لهم اراضي يزيد غناها عن حاجات النبات من يبحث عن الماء الخالي من المواد المغذية فيستعمله لتخفيض كمية تلك المواد من ارضه .

ومن حسنات الاسقاء تعديل حرارة الارض ، ففي اوان البرد يكون الماء أشد حرارة من الارض فيعين النبات على نموه وبخلاف ذالك في المصيف .

على أن فن الاسقاء يتطلب من القائم به عزما ونباهة ومعرفة تامة بالعمل الذي يقدم عليه لان الاسقاءَ اذا اجري بغير معرفة كافية تنقلب حسناته سيئات وتتسبب عنه اضرار عظيمة تفسد التربة وتضر النبات وربما تخل بالصحة العامة ومما يجب درسه باتقان قبل تعاطي السقي في ارض معينة قابلية طبقتها العليا وطبقتها السفلى لنفوذ الماء فاذا كانت تلك القابلية في احدى الطبقتين أو في كلتيهما قليلة مكث ماءَ السقي في الارض اكثر مما يجب وحدثت عن مكثه الاضرار التي أشرنا اليها في صدر المقال ووجب على الفلاح ان يسقي من جهة وأن ينشف من جهة اخرى والا فسدت ارضه وصارت غير صالحة للفلاحة وسقطت قيمتها عن قيمة الاراضي التي تجاورها ولم تسق بالكلية فكم من الاراضي سقيت في بعض النواحي من الجزائر وتحولت بالاسقاء الى امراج تهدد صحة سكان النواحي التي تجاورها بما ينمو فيها من جيوش الناموس الناقل لحمى المستنقعات المخطرة .

عمر بن عبد الجليل (يتبع)

دمعة على شوقي

رحماك رب وحنانيك ! ما لهذه الشهقة الراجفة الواجفة تصطرخ من قاصي اجواء السماء الى الصميم من اجواف الارض ؟

رب اني أتحسس خفق النعال وصفق الاكف وصريف الاسنان ومكاء الشفاء وبكاء العيون ففيم هذه الوجبه والهيعة وعلام هذا الضجيج والعجيج والنشيج ؟

رب اني أرى في الاقلام رشقا وفي الصحف مشقا وفي المحابر دفقا وعلي الحياة حدادا وفي الشمس سوادا والكتاب حيارى والشعراء سكارى . فماذا هو خطب العالم العربي من جديد ؟

أهبط من السماء هول على الارض أم طاف بالناس طائف منك وبدؤوا يشعرون ....

أم مات شوقي ؟ فان يكن هذا خطبنا اليوم ويا شجياه ! فليجل الامر ويفدح الخطب وليلبس الاسلام حدادا ثانية حداده !

بالامس مات حافظ فثكله الشرق العربي وتقرحت له الاماق واندملت الملاطم وبكته المعالم والمجاهل والحياة كلها وما عتم ان

احمد شوقي